استطلاعات الرأي اختارت «غزلان في غابة الذئاب» اولا ثم «باب الحارة» وثالثا يأتي «اسياد المال»

الدراما السورية: حضور مكثف للدراما الاجتماعية .. وغياب للمتابعة النقدية

دمشق ـ «القدس العربي»
ـ من أنور بدر:

انتهى الموسم الرمضاني، وعاد الناس يتأقلمون مجدداً مع برامجهم اليومية، بعيداً عن زحمة المسلسلات التي كانت تسرقهم نهاراً وليلاً واعتقد أنه من الطبيعي أن نلتفت إلى الوراء قليلاً متسائلين حول هذه الدراما التلفزيونية وما قدمته. وقد عودتنا جريدة الثورة منذ عامين على إجراء استبيان يستطلع رأي المشاهدين في المسلسلات التي تمت متابعتها وفي الممثلين الذين أحبوهم في هذه الدورة، وفي أشياء أخرى قد تكون أقل أو أكثر أهمية. رغم تأكيدنا على غياب عناصر أساسية في هذا الاستبيان.

فمثلاً لم يطرح السؤال حول التفضيل ما بين أنواع الدراما الاجتماعية ـ التاريخية ـ الكوميدية، وغاب السؤال عن أهم مسلسل في كل نوع من أنواع الدراما تلك، لنكتشف من مجمل خيارات الاستطلاع أن جمهور المشاهدين فضل ثلاثة أعمال اجتماعية، وحتى الرابع أيضاً كان من نفس الخانة، بينما ظل مسلسل «مرايا 2006» الكوميدي في المرتبة الخامسة، ولم يحظ أي مسلسل تاريخي بأهمية تذكر في هذا الاستبيان.

لقطة من «غزلان في غابة الذئاب»

لقطة من «باب الحارة»

المسألة الأخرى أن الاستبيان انحصر تحديداً في الأعمال السورية، وكان مفيداً أن نجري الاستطلاع بين متابعي الدراما العربية ككل، لنسأل عن سوية أعمالنا مقابل الأعمال العربية الأخرى التي قدمت في هذا الموسم، وسوية تلقي المشاهد لها، وأسباب تفضيل عمل على آخر.

المسألة الثالثة أن الاستبيان استبعد السؤال الأساسي عن سوية الدراما السورية في هذا الموسم، مدى نجاحها، مكامن ضعفها. عناصر الأزمة أن وجدت فيها، وعلاقة هذه الدراما في مستويات ثلاث هي المنتج ـ العمل ـ جهة العرض، ودور التسويق، وأسئلة أخرى كثيرة يمكن أن ترد في هذا الحقل.

بعيداً عن هذه الملاحظات المهمة، نعود للتأكيد على أهمية الاستبيان السابق كونه العمل الصحافي الوحيد في سورية ضمن هذا الحقل، خاصة في ظل غياب التلفزيون كمؤسسة إعلامية، معنية قبل سواها بهكذا استطلاعات للرأي، كونها الجهة الأساسية في الإنتاج الدرامي السوري، والجهة الأولى العارضة لهذه الدراما، مع الأخذ بعين الاعتبار عجزها عن وظيفة التسويق والتي يكون الإعلان واستطلاعات الرأي جزءاً رئيسياً منها.

انطلاقاً من حديثنا عن غياب دور المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون في حقل الاستطلاع والإعلان والتسويق للإنتاج الدرامي، يؤكد الاستبيان أن أغلب الجمهور السوري يتابع الدراما على شاشته الوطنية الفضائية بنسبة 33,1 % والأرضية بنسبة 22,29 %، ثم تأتي محطة MBC في المرتبة الثالثة بنسبة 15,17 %، وجاءت في المرتبة الرابعة محطة «شام» السورية الخاصة بنسبة 13,9 %، ولا ندري حتى تاريخه سبب إغلاق هذه المحطة بعيد انتهاء الدورة الرمضانية بقليل، مع أنها أول محطة خاصة كانت تبث بشكل تجريبي، وبالتنسيق مع التلفزيون السوري، حتى أنها كانت متهمة بتكرار ما يقدمه هذا التلفزيون بدءا من برامجها ولجهة المذيعين والمذيعات وصولا إلى طبيعة الخطاب...ألخ.

ثم جاءت محطتي إنفنتي والديرة الخليجيتان بنسبة 10,8 % و4,71 % على التتابع. ولدى السؤال عن أسباب اختيار أو تفضيل هذه المحطة عن تلك كانت الإجابة بنسبة 56,09 % أن ه الوقت المناسب لمتابعة هذا المسلسل، و18 % لأنه لا يعرض إلا عليها، و16,86 % بسبب الاعتياد، وتبقى 8,94 % لأسباب أخرى.

كما نلاحظ بشأن المتابعة، أن 8 % من ضمن الاستبيان لم يتابعوا أي عمل درامي مقابل 31,6 % كانت متابعتهم مستمرة، 50,8 % في متابعة متقطعة و10,5 % كانت متابعتهم تأتي بالصادفة، وبالتالي نسب الاستبيان السابق ستكون من أصل 92 % الذين تابعوا الأعمال الدرامية فقط.

وفي هذا الحقل نلاحظ أيضاً أن 14,24 % حرصوا على متابعة مسلسل واحد، في حين أن 20,6 % تابعوا عملين، و21,37 % تابعوا ثلاث مسلسلات، و21,62 تابعوا أربع مسلسلات، ثم انخفضت النسبة إلى 7,88 % تابعوا خمس مسلسلات و4,32 % تابعوا ست مسلسلات، و9,92 % تابعوا أكثر من ذلك، بينهم عدد من الطلاب تابعوا عشر مسلسلات أو أكثر، لكن شخصاً واحداً فقط تابع عشرون مسلسلاً، وهو يعمل خياطاً وعمره عشرون عاماً.

النقطة الأخيرة أن 68,76 % من اصل العينة لم يتابعوا أي عمل غير سوري، فيما تابع البعض الأعمال العربية بنسبة 31,32 % وهي نسبة تكاد تصل إلى ضعف مثيلتها في العام المنصرم، حيث اقتصرت على 16,7 %، ولعل ما يفسر هذه الزيادة أن أغلب هؤلاء الخارجين على الدراما السورية كانت مشاهدتهم للمسلسل المصري «حدائق الشيطان» الذي لعب بطولته النجم السوري (جمال سليمان).

نال مسلسل «غزلان في غابة الذئاب» وهو من إخراج رشا شربتجي عن نص للدكتور فؤاد حميرة درجة أفضل عمل درامي سوري لهذه الدورة، حاصداً نسبة 44,78 % من الأصوات، مقابل 33,33 % لمسلسل «باب الحارة» الذي حلّ في المرتبة الثانية، وهو للمخرج بسام الملا عن نص مشترك لكمال مرة ومحمد مروان قاووق، ثم مسلسل «أسياد المال» بنسبة 21,73 % من الأصوات وهو من إخراج يوسف رزق عن نص للسيناريست هاني السعدي.

كما نال الممثلون في مسلسل «غزلان في غابة الذئاب» لقب أفضل ممثلين في هذه الدورة بنسبة 48,38 % لقصي الخولي، وأمل عرفة بنسبة 39,39 %، وجاء ثانياً في قائمة الممثلين بسام كوسا بنسبة 39,91 %، وحجبت المرتبة الثالثة والتي تصارع عليها 32 ممثلاً، تسعة منهم لم يحصلوا سوى على صوت واحد. بينما حجبت المرتبة الثانية في فئة الممثلات للسبب ذاته، وجاءت نادين في المرتبة الثالثة بنسبة 24,24 % وهذه النتيجة لا تختلف كثيراً مع إستبيان صحيفة الأنباء الكويتية الذي نشر بتاريخ 2006/10/14 مع أنه يبدو معاكسا له، حيث نالت «أمل عرفة» ثاني أفضل تمثيل في الدراما السورية بعد بسام كوسا، علما أنّ الاستبيان شمل مساحة دول الخليج العربي بالإضافة إلى مصر ولبنان.

يمكن لنا الآن من خلال قراءة النسب السابقة، أن نكتشف الظلم الذي لحق بالكثير من الفنانين والأعمال الدرامية التي عرضت خارج القنوات السورية وشبيهاتها التي اهتمت بالدراما السورية، إذ أن مسلسل ك (أيام الولدنة) لمأمون البني والذي عرض على سبع فضائيات عربية لم تكن مشمولة بالاستبيان، كان يستحق التفاتة من المشاهدين لو لم يُمنع في اللحظة الأخيرة لجرأته، أو أن يكتفي بنصيب أفضل ممثل للفنان خالد تاجا عن دوره الذي يترشح فيه لرئاسة الجمهورية، ويدخل جراء ذلك في سلسلة من الإشكالات مع الأجهزة الأمنية في البلد. كما تأخر عرض مسلسل نجدت أنزور «المارقون» لعشرة أيام تقريباً بسبب الرقابة، وهذا بدوره أثر في مستوى المتابعة وفي قدرته على المنافسة مع المسلسلات الأخرى.

كذلك نلاحظ نسبة متابعة أعلى لأعمال عرضت في وقت الذروة من المشاهدة مثل «غزلان في غابة الذئاب» بينما عرض مسلسل «أسياد المال» في الساعة الثانية صباحاً، وبعض الأعمال تأخر عرضها للساعة الرابعة من صباح البعض أو ليل الآخرين.

وفي استبيان عن أسباب المتابعة نجد أن 31,7 % من المشاهدين برروا متابعة مسلسل بعينه أو أكثر كونه يعالج مسألة مهمة، فيما نسبة 21,6 % أكدت اهتمامها بجرأة العمل وقدرته على خرق المحظورات، بينما 20,83 % من المشاهدين برروا متابعتهم من خلال العلاقة مع ممثل أو ممثلين يحبونهم. و13,65 % فقط أكدوا اهتمامهم بأسلوب الإخراج، و6,71 % تابعوا بعض المسلسلات لأنها مسلية فقط، وكان لـ6 % أسباب أخرى للمتابعة. وهذه النسب التي بين أيدينا تشير إلى سوية اجتماعية وثقافية معينة لدى المتلقي.

فرغم أن الدراما السورية تتميز عن الدراما المصرية مثلاً بكونها دراما المخرج ،أي ينسب المسلسل لمخرجه، فنقول مثلاً مسلسل للمخرج نجدت أنزور أو رشا شربتجي أو باسل الخطيب، فيما تنسب الأعمال المصرية لنجوم العمل، فيقال مسلسل ليحيى الفخراني، وآخر ليسرا مثلاً. ومع ذلك نلاحظ أن نسبة 13,65 % فقط ممن خضعوا للاستبيان كانوا معنيين بأسلوب الإخراج.

أي أن البقية توزعوا ما بين أهمية الموضوع وهذه مسألة نسبية تختلف من متابع إلى آخر، وبين الجرأة في تناول هذا الموضوع، وصولاً للعلاقة مع الممثلين أو كون العمل مسل فقط. بالمحصلة هي أسباب تدل على ثقافة درامية عامة لدى المشاهد الذي يتابع الحدث ومصير الابطال لمحبين له. وإلا كيف يكون مسلسل «باب الحارة» في المرتبة الثانية رغم كل الانتقادات التي طالت الموضوع وطريقة المعالجة، واستنساخ البيئة الشامية بطريقة مشوهة؟!

في النهاية نؤكد على أهمية الاستبيان السابق، وندعو كل الجهات الإعلامية لتطويره والعمل عليه وفق طرائق أسهل وأنجع، كإستخدام الموقع الإلكتروني لوزارة الإعلام، أو لصحيفة «الثورة» نفسها، أو غيرها من المواقع التي انتشرت كالنار في الهشيم في السنوات الأخيرة. فعبر الموقع الإلكتروني يمكن للاستبيان أن يشمل أضعاف الأعداد من المشاهدين الذين يشاركون فيه، وبالتالي يمكن أن ينوع في نوعية المشاهدين وسويتهم الثقافية والفكرية، كما أنه يقدم طريقة أسهل للحصول على النتائج وبرمجتها إلكترونياً.

مع ذلك نؤكد على عدة عناصر موضوعية تتدخل في نتيجة الاستبيان خارج العناصر الفنية للمسلسل، وهي توقيت عرضه، والمحطة التي يُبث عليها، والرقابة التي يخضع لها، فتضارب أوقات العرض وحجب بعض المسلسلات أو جزء منها رقابياً سوف يؤثر على سوية المتابعة كما حصل مع المسلسل «وشاء الهوى» مثلاً.

إلا أن اللافت للانتباه تراجع أهمية الأعمال التاريخية لدى المشاهد السوري، ولا أعرف إذا كانت هذه النتيجة تنطبق على المشاهد الخليجي مثلاً، أو العربي عموماً، كذلك تراجع أهمية الكوميديا السورية، وهل يمكن اعتباره مؤشر على تراجع أهمية الأعمال الكوميدية التي أنتجت هذا العام، أم أن الدراما الاجتماعية سرقت من تلك الأعمال الكوميدية عنصر الجرأة الذي كانت تتمتع به سابقاً؟

رأي حول الفضائيات: «الجزيرة» اسلامية تتبنى اليساريين و«العربية» غربية بلسان عربي

رائد عواشرة *

■ يقول الأكاديمي الاعلامي د. عوض السليمان في مقالة له في صحيفة الحقائق «عندما كنت صغيراً، لم أكن لأتصور ولو لحظة واحدة أن تقوم محطة تلفزيونية عربية، بإظهار صورة لرئيس وزراء العدو أو وزير خارجيته....» اما الكاتب السوري حكم البابا وفي مقالته في صحيفة «القدس العربي» يقول «لقد تحولت قناة الجزيرة منذ أحداث 11 أيلول (سبتمبر) من محطة تلفزيونية الى جبهة حرب، وعلى الرغم من مهنيتها الاعلامية الآن المتابع لبرامجها لا يعوزه كثير من الذكاء لاكتشاف أنها لم تعد تفرق بين السبق الصحافي وبين المصدر الاعلامي، بحيث تحولت الى مايشبه الموقع الرسمي لبث رسائل الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري الإذاعية والتلفزيونية... وتظهر بانها تريد ارضاء جمهور عريض من العرب، يرى أنه يعيش مرحلة جهادية متأججة في مواجهة أعداء يستهدفون وجوده، فإن عليها ألاّ تتجاوز الخط الفاصل الذي يحولها من قناة الجزيرة التلفزيونية الفضائية، الى جبهة الجزيرة التلفزيونية لتحرير أفغانستان والعراق وفلسطين وإعادة فتح الأندلس.....».

ارى ان ملاحظة الكاتب السوري في مكانها، فكثير من المشاهدين يتساءلون عن سبب الاهتمام او (الترويج) لاسامة بن لادن والظواهري، وقد يتفق البعض مع التحليل الذي يقول ان الجزيرة تريد اسماع جمهورها ـ العرب والمسلمين ـ ما يريدون. وقد يقدم اخرون تحليلا بان الجزيرة لها خطوط اعلامية متداخلة مع اجندة سياسية ترغب بالربط بين التدخلات الامريكية في المنطقة العربية ونمو تيارات اسلامية مثل القاعدة لصالح المطالبة بتغير السياسية الخارجية الامريكية في المنطقة.

ان الاراء التي تساق وتتناول فضائية الجزيرة تارة بالتحليل السريع او الوصف وان بدت متناقضة تحمل الكثير من الافكار والمعاني والتي تخلق اجواء محفزة لدراسات وابحاث اكاديمية تنفذ الى الفضائيات والاعلام العربي وتحاول فهم دوافعه واهدافه تصل الى عمق ارتباطه بمستقبل المنطقة وماهية اجندته السياسيه وارتباطها بالانظمة العربية.

وكمدخل، فلنأخذ مقارنة سريعة بين فضائية الجزيرة والعربية، فكلتاهما تتناولان موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية تهم العالمين العربي والاسلامي، فالوصف السريع الذي يعتمد على ما يعرض على المشاهد يبين الفرق بينهما، فالجزيرة اقرب بموادها الى التصنيف الاخباري والثقافي بينما تبدو العربية اقرب للاخبارية الترفيهية.

بين الليبرالية والاسلامية

هل يمكن الجمع بين الليبرالية والاسلامية في الاعلام؟ فان الاجابة هي نعم، خاصة في بلد ثري، وفي منطقة عربية ـ اسلامية تسودها الهيمنة الامريكية، وتتطلع للاستمرارية. في حين يراها أخرون وكأنها جبهة الجزيرة الاسلامية لتحرير فلسطين والعراق وافغانستان والاندلس...تحرير ماذا. الاندلس؟ سؤال من صديق أجنبي حول اذ ما كان المسلمون يعتبرون اسبانيا محتلة ووجب فيها الجهاد وتحريرها مثل فلسطين؟ وصف وسؤال يعبر عن وصف للجزيرة بانها اسلامية لم يبق الا تحجيب المذيعات لتكتمل الصورة. وما ينقض هذا التصور هو حضور الفكر والمفكرين المسلمين في برامج الجزيرة مثل اليساريين والليبراليين ، وموضوعة تحرر المرأة تجمع في تناولها وعرضها بين الاسلامية والليبرالية، ما يدفع عدد من الاعلاميين بالقول ان الفضائية تسير وفق خط التجديد الاسلامي والجمع بين الاصالة والحداثة. اما العربية فلا جدال في صورتها فهي تبدو متجهه نحو الليبرالية والتي هي اقرب الى توجه غربي لم تفلح نكهة اللغة العربية والوجوه الشرقية باضافة الكثير لتجعلها مميزة او فريدة في عملها.

قطر والسعودية

وتمول قطر فضائية الجزيرة وتحتضن عاصمتها الدوحة استوديوهاتها ومكاتبها المركزية، فيما تمول المملكة السعودية العربية. وينعكس كلا التمويل والملكية على الاتجاهات الاعلامية ومواقف وبرامج كلتا القناتين. فكم من الناقدين للجزيرة طالبوها بالحديث عن موضوعات عربية تتصل بقطر وعدم الاكتفاء بتشريح ما تبقى من الدول العربية. وتفتح العربية اهتماما وتفتح المجال للمسؤولين السعوديين فيما يحظى المسؤولين القطريين حصة ممتازة في تغطية فعالياتهم في الجزيرة. فالملكية والتمويل تظهران وبوضوح الاجندة الاعلامية للفضائيتين في العالم العربي والاسلامي، فالعربية تقترب من مواقف المملكة السعودية السياسية والجزيرة تقترب من مواقف قطر السياسية.

مقارنات سياسية

عندمت تغطي وسائل الاعلام اخبار وموضوعات الدول والشعوب، فان أسلوب التغطية قد يعبر أو يدلل على موقف تأخذه هذه القناة. وباختلاف اسلوب التغطية، فان الجزيرة والعربية تأخذان مواقف مختلفة من موضوعات متعددة، فالعربية في العراق تؤكد دوما على ما يسمى التفجيرات وتقدمها باعتبارها ارهابا ولا تحاول النفاذ لأبعد من ذلك بينما تركز الجزيرة على احتلال العراق وضرورة الخلاص منه وتوضح عمليات الارهاب وقتل المدنيين. وفي فلسطين تبدو العربية اقرب لحركة فتح فيما الجزيرة تبدو اقرب للمقاومة والديمقراطية وتتهم بأنها قريبة من حماس من قبل مناصري فتح. وقد دفعت هذه الاتهامات الى احراق سيارات ومكاتب الفضائية، ولا اخفي القول ان بعض من الناشطين السياسيين وبعض التيارات الرسمية في القوى السياسية والسلطة يتهمون الجزيرة تارة بالعمالة مع المخابرات الامريكية وتارة اخرى بالعمالة مع اسرائيل. اما المهم وهو نشاط الجزيرة في ابراز ممارسات الاحتلال التنكيلية، وببراعة تتركز حول مستقبل الصراع والقضية الفلسطينية تجعل من الجمهور ان يفرق بين تغطيتها والفضائيات العربية الاخرى.

وفي الاردن، فقد تصادمت الجزيرة عدة مرات مع الحكومة وتم سحب ترخيصها واعتقال بعض مراسليها بل وكانت القناة سببا في توتير العلاقات السياسية بين الاردن وقطر. ولعل هذه المؤثرات كانت سببا في تخفيف حدة المواجهات ونمط التغطية والتقليل من الموضوعات الساخنة والتخفيف من «صراحة» الفضائية. اما العربية فقد ابتعدت مطلقا عن الموضوعات الساخنة وبدت أقرب للرواية الرسمية وخاصة فيما يتعلق بموضوعات الارهاب والاسلاميين.

وتحاول الجزيرة التقرب من المجتمع الدولي ومطالبة او ما يسمى بقرارات الشرعية الدولية وخاصة تلك التي تعترف باسرائيل، وترى من المهنية تتطلب تقديم الرواية والمواقف الاسرائيلية الى جمهورها والمشاهدين. وبالرغم من ذلك، فان الجزيرة تحاول صياغة خط لها في تقديم الموضوعات ذات العلاقة باسرائيل، فمثلا تحاول الجزيرة التعامل مع موضوعات تهم اليهود الشرقيين والغربيين بتناولها هويتهم، وبطريقة انسانية ـ ذكية تثير موضوعات مثل دور مؤسسة الجيش في الدولة، والتمييز بين فئات مواطني هذه الدولة، ودور اسرائيل في المنطقة العربية، وقدرتها على الاستمرار، واسباب الدعم الغربي المستمر وخاصة الولايات المتحدة لها.

وفي لبنان، فأن اعلام العربية يقترب من موقف الحكومة او ما يعرف بتيار شباط، فيما تبدو الجزيرة اقرب لمواقف المقاومة اللبنانية وبأطيافها المتنوعة ـ شيوعية وقومية وناصرية وبعثية واسلامية و شيعية ـ والتي يقودها حزب الله. فالجزيرة تفند اسباب الصراعات الداخلية الا انها لا تقدم حلولا، فوظيفة الاعلام تتعدى تقديم المعلومات الى تبيان الصلات والمصالح ومحاولة تقديم الحلول وفقا للاعبين الاساسيين. وفي الموضوعات الداخلية في الشؤون السورية يظهر اعلام الجزيرة بانه يقف مع الفقراء والمظلومين لصالح تعرية النظام الصارم «القمعي»، اما في الشؤون الخارجية، فالجزيرة تصطف مع النظام السوري في مواجهة الهجمة الغربية والتي تقودها الادارة الامريكية واسرائيل. وبتقديري فان فلسفة الجزيرة تقترب الى دعاة التعايش السلمي بين الاجناس والقوميات واللغات والتي تتفق والمعنى الاخلاقي لرؤية المواثيق الدولية.

موظفوها

ويتمتع موظفو الجزيرة والذين نراهم على الشاشة من مراسلين ومقدمي برامج ومذيعين بقدرة اعلامية جيدة ولديهم الكثير من السمات الشخصية والتي يفترض ان توجد في الاعلاميين، فيما يبدو موظفو العربية اقل مهنية واقل ثقافة واكثر اهتماما بالمكياج. وفيما يتعلق بمواقف الموظفين السياسية والفكرية، فعلى سبيل المثال، فان مدير الجزيرة في لبنان يظهر بانه قريب من موقف الحكومة اللبنانية وتيار المستقبل، ومدير الجزيرة في فلسطين يبدو قريبا من موقف الليبراليين وحزب الشعب الفلسطيني. ويحتل الموظفون الفلسطينيون نسبة جيدة واكبر في الجزيرة مقارنة مع فضائية العربية، فالفلسطينيون لديهم نسبة ممتازة في الجسم الاداري وجسم المراسلين ليس في فلسطين ولكن في اماكن كثيرة من العالم. والمميز في الجزيرة تنوع مشارب موظفيها الفكري ـ الاسلامي ـ القومي واليساري والماركسي بينما توجهات موظفي العربية تقترب للاراء البرغماتية البعيدة عن العمق الفكري والفلسفي لدرجة ان البعض منهم يبدو وكأنه «قطعة ديكور» وفرت لتتلائم مع الصورة الكبيرة للفضائية.

المهنية الاعلامية

يرى الكثير من الاعلاميين ان الحيادية والموضوعية تتطلب ابراز الرأي والرأي الاخر وتقديم حجتهما، فيما يرى البعض ان الحيادية لا تتفق مع قول الرسول محمد (ص) «الساكت عن الحق شيطان أخرس». ويرى الكاتب الأكاديمي د. السليمان ان مواثيق الحيادية والشرف خرجت ناقصة شرف ويستشهد بخارطة فلسطين والتي يظهر الجزء الأكبر منها على شاشة الجزيرة وقد دمغ بلفظة إسرائيل، في حين ان الباقي يظهر الضفة الغربية وقطاع غزة.

ان ما يثيره الاعلامي هنا يستحق الاهتمام، فالعرض المستمر لخارطة فلسطين يدل على تجذير تغيرها وتعبيرا عن موقف سياسي يستوعب اسرائيل في المنطقة العربية، كما وانه يرى عاملا في توطيد وقبول اسرائيل في المنطقة العربية. ويبدو هذا مستفزا وغير مقبول لدرجة يعتبره الكثيرون انه يتنافى والاهداف والقيم العربية والاسلامية ولا يتفق اصلا مع الحديث عن واقعية سياسية تتصل بالقانون الدولي علما ان وحتى هذه اللحظة ما زال الاساس هو قرار التقسيم رقم 181 الى ان يتم الوصول لأتفاقيات نهائية.

اما السبق الصحافي، فالسبق قد تراجع في الجزيرة لصالح وكالات الأنباء الغربية، في حين تقدمت في شمولية تغطيتها وحساسيتها وخاصة في الحروب والمواجهات العسكرية والعنيفة، فالتقدم الذي حققته الجزيرة مقارنة مع الفضائيات العربية يسجل وبفخر لها. كما ويمكن اعتبارها وموقعها الالكتروني مصدرا لحقول المعرفة بحيث باتت مصدر مهم من مصادر الاكاديميين والباحثين والمثقفين. اما العربية فهي تجاهد في نسخ برامج الجزيرة وتنظيم برامج موازية ويبدو انها لم تجد ذاك النجاح في التميز او في عدد ونوعية البرامج المقدمة.

بعض الملاحظات

الملاحظات التي يثيرها الكتاب العرب والمسلمين حول الجزيرة لا بد لها أن تقابل بالاهتمام من ادارة الفضائية، فالمطلوب دراسة الملاحظات حتى لو ان رأى البعض ان كتاب المقالات قد بالغو في تصوير وتخيل ابعاد الملاحظات والانتقادات. وعن علاقة الجزيرة مع الانظمة العربية وكما يقول الكاتب بابا «في بدايات إطلاق قناة الجزيرة كان الرسميون العرب يكرهونها لكنهم ينتظرون برعب نشراتها وبرامجها ويحرصون على مشاهدتها، أما اليوم فالكل يحبون الجزيرة، لكنهم يفوتون كثيراً من أخبارها وبرامجها، ليس لأنهم لم يعودوا يخشونها فقط، وإنما لأنهم يعتبرون أنفسهم مشاركون في تحريرها وإعدادها، وفي حال استمرارها بهذه السياسة لن أستغرب في وقت قريب مشاهدة نشرات أخبار الجزيرة تبدأ بأخبار الزعماء العرب وهم يستقبلون ويودعون ضيوفهم ويبحثون معهم الأمور الثنائية التي تهم البلدين الشقيقين».

فالجزيرة والتي تعمل بترخيص مثلها وكافة الفضائيات ـ وهو مهم للعمل والاستمرار ـ والتي دوما ما كانت تثير ملفات ساخنة في الدول العربية، تبدو اقل جرأة، واقل تصادما ضمن سياسة الحذر في التعامل مع الانظمة العربية في سياسيات وتدخلات المصالح الاسرائيلية ـ الامريكية. اي ان المعادلة هي التركيز على استبداد وتدخلات الادارة الامريكية في شؤون الغير لصالح المناداة والدعوة للتعايش والسلم العالمي

ويبقى الاعلام وسيلة تنموية وعنصر استراتيجي فيها، فكيف يمكن تعرية الانظمة القمعية وفي نفس الوقت الحفاظ على استقلال الاوطان وعدم السماح للدول القوية باستغلال ما تبقى من الاعلام الفاعل وخاصة الفضائيات النشطة.

* استاذ العلوم الادارية والتنموية

فضائيات

«محلّك سر» من الحسيني لعرفات، رد على لغة هابطة، وقبلة لـ«الجزيرة»!

توفيق الحاج*

■ عندما شاهدت على قناة الجزيرة الحلقات الخاصة بالمفتي الحاج أمين الحسيني في برنامج «أرشيفهم وتاريخنا» شعرت بالغصة والحزن ليس فقط بسبب انهيار امبراطورية الأحلام الحسينية على مدى نصف قرن ولكن بسبب ترسخ القناعة لدي ـ بعد وقفة تأمل سريعة أمام التجليات السياسة الفلسطينية اليوم ومقارنتها بتجليات الأمس ـ بأننا لم نغادر مكاننا رغم مغادرة التاريخ لنا فأمراضنا وأوهامنا ونقاط ضعفنا هي هي لم تتغير.

الحاج أمين الحسيني لم ينصفه التاريخ جيدا كما يقول البرنامج وقد يعود ذلك الى ان الشهادات الأجنبية في «أرشيفهم وتاريخنا» لم تتخلص من أهوائها رغم تسلحها الظاهري بموضوعية البحث فالبغض للفوهرر وكل ما اتصل به انعكس جليا على الشهادات الألمانية خاصة وكنا نحس أن في بعض الشهادات نزوعا الى الشماتة بينما رأينا في شهادات عربية شيئا من العاطفة والحسرة.

ولا يختلف عاقلان موضوعيان على أن المفتي رحمه الله كان زعامة وطنية عظيمة مخلصة للدين والوطن اجتهدت لتصيب فأخطأت في أكثر من موقف.

ان انخراط المفتي فيما يسمى الثورة العربية الكبرى كان انجرافا سياسيا فادحا في تيار عروبي قطيعي هرول وراء اغراءات بريطانيا العظمى بوهم الاستقلال بهدف خدمة مصالحها في مواجهة الخلافة التركية المتآكلة والظالمة وكان الخيار عند الساسة العرب حينئذ هو المفاضلة بين القبول باستمرار ظلم خلافة مسلمة أو الثورة عليها أملا في تنفيذ وعد بالحرية من امبراطورية كاذبة.

ونفس الأمر تكرر حينما توجه المفتي الى ألمانيا النازية طلبا للحرية العربية بعد أن يئس من وعود بريطانيا ولجانها وكتبها البيضاء والسوداء وكان ذلك أشبه بلعبة اليانصيب!

وللانصاف فان المفتي لم يتوجه الى ألمانيا حبا في زرقة عيون الألمان وانما بدافع وطني صرف بحثا عن استقلال نستحقه ولم يكن هو العربي الوحيد الذي فعل ذلك بل فعلها كثيرون منهم عزيز المصري في مصر ورشيد عالي الكيلاني في العراق والأخير كان له الدور المؤثر فيما فعل المفتي.

ولكي ندرك المحيط المتناقض والضاغط الذي كان يجتهد فيه الحاج أمين علينا أن نعرف أنه كان يواجه عداوات وإحن من ساسة عرب كثيرين وساسة فلسطينيين اعتمادا على ارث طويل من النزاعات الحزبية والمؤامرات البريطانية بين تيارات العمل الوطني الفلسطيني والعربي على قاعدة «فرق تسد».

لقد كانت حركة المقاومة الفلسطينية للانتداب والصهيونية ـ مع كل الاحترام لتاريخها ـ منقسمة على نفسها منذ البدء تنخر فيها العائلية والمصالح الفردية الى درجة كان يفضل فيها بعض الساسة والوجهاء الفلسطينيين «صرامي» البريطانيين و «بلاوي» الصهاينة على خصومهم.

وما دار في حينه من صراع مرير بين الحسينيين والنشاشيبيين لهو أكبر دليل على ذلك.

وهذا ما جعل المد النضالي الفلسطيني دائما أقل من مستوى التحديات رغم البطولات وسيل التضحيات وهذا الاستنتاج ليس من عنديات بل هو استنتاج موجود في أكثر من مرجع تاريخي نزيه وأحيل من يريد أن يتأكد الى رسالة الدكتوراة التي كتبها د. علي سعود عطية تحت عنوان «الحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني» والتي صدرت في كتاب عام 1985 عن جمعية الدراسات الاسلامية.

ان ما جرى ويجري على صعيد الستين عاما الماضية من تاريخ المقاومة الفلسطينية هو بصراحة وببساطة صورة مكررة مما حدث أيام الصراع بين الحسينيين والنشاشيبيين ولكن تغيرت المسميات فقط فالدور الذي قام به المفتي قام به ياسر عرفات وكلاهما اجتهد وأخطأ وكلاهما كانت له عداوات وخاض صراعات ونزوات كان بالامكان تجاوزها وعدم هدر وتشتيت طاقة المقاومة كما حدث مع تغير مسمى اللاعب الأكبر من بريطانيا العظمى الى الولايات المتحدة الامريكية وكما انتهى تاريخ المفتي السياسي بقرار التقسيم انتهى تاريخ عرفات السياسي أيضا باتفاق أوسلو الهزيل.

وها نحن اليوم ومع شديد الأسف نجد أنفسنا كفلسطينيين أمام نفس الصورة الفضائلية الخلافية الفجة وهذه المرة بالذات بين فتح وحماس مما يشوه صورة المقاومة ويعطل زخمها وكأنها لعنة تاريخية تغذيها الولاءات المتنافرة للطوائف العربية والتي تلتقي وتخضع في النهاية تحت قدمين أمريكيتين.

تعليق على تعليق

■ قد أكون أحيانا.. سليطا.. لاذعا.. وصريحا أكثر مما يجب وهذا قد يسبب لي عداوة مجانية مع ضيقي الأفق ومن لديهم «بطحات» «يحسسون» عليها ولكني لم ولن أرضى يوما أن أكون داعية وهم كاذب أو كاتبا مفصلا على مقاس أحد وأعتقد أن من حقي أن أكون أنا فيما أكتب دون النظر الى تعليق سمح هنا أو مزايدة علي في الدين والتقوى من متحجر لا يعي جيدا ما يقرأ و يرى في الفن المحترم كفرا وفي الابداع بدعة، طالما أني أحترم ديني وانتمي حتى العظم الى وطني وعروبتي وقيمي وأعشق حريتي كانسان فزآدي اليومي الذي لا أستغني عنه هو الفرح بفجر جديد والاستدفاء بحب البسطاء مع ساعتين من القراءة وساعتين أخريين من مشاهدة منتقاة لفضائيات محترمة.. وصولا الى عتبة القصيدة.

أجدني مضطرا لقول كل هذا وأكثر بعد أن وأذهلتني استفزتني حقا بعض التعليقات على ما كتبته قبل أسبوع عن «سعاد حسني» ليس بسبب موقفها السلبي مما كتب ولكن بسبب اللغة الهابطة والتي لا تليق كلغة حوار متحضر بين كاتب وقارىء مع العلم اني لم أخالف نصا قطعيا أو ظنيا بالكتابة عن فنانة كانت فتاة أحلام معظم الشباب في حينه بما فيهم أنا، ولم أسيء الى صحيفة «القدس العربي» بنشر هذا المقال فليس فيه ما يخجل، وأفترض انها تتشرف بي كاتبا على صفحاتها كما أتشرف بها.

وليعلم من لا يعلم أن كل الدعاة ورواد الفكر الديني كما غيرهم لم يولدوا أنبياء أو أولياء بل كان معظمهم في شبابهم يحبون الأدب والفن ويتعاطونهما جهرا ومن لا يصدق فليرجع الى سيرتي سيد قطب وكامل التلمساني كمثالين واضحين.

وان كانت صياغة العنوان في المقال السابق قد أثارت أحدا دون قصد فان المضمون كان واضحا لا لبس فيه فأنا لم أعن مطلقا الاعتراض على تحجب «حنان ترك» كما تصور البعض عجلة وغفلة ولكن العكس هو الصحيح تماما فانا أحيي تحجب أي فنانة أو اعلامية أذا كان مبعث ذلك دافع ديني صادق كما فعلت المذيعة المتألقة «خديجة بن قنة» منذ ثلاث سنوات وأخيرا فاني أقول وأجري على الله مستوحيا مما قاله الشيخ الامام محمد عبده ذات يوم «والله اني لا أخشى على الدين الا من هذه العمائم».

اني فعلا بت لا أخشى على الدين من الدنماركيين والعولميين وأمثالهم بقدر ما أخشى عليه من أمثال هؤلاء المتشنجين المنغلقين الذين يتسرعون في اطلاق الأحكام كالرصاص لارهاب خلق الله دون وازع أو ضمير ودون ان يدركوا أن من يسيئون اليه لربما يكون أفضل منهم وطنية وانسانية وتقوى.. وعيب.

عقبالك.. يوم ميلادك

■ تحتفل الجزيرة بعيد ميلادها العاشر وهي في طليعة الفضائيات تألقا وجذبا للمشاهدين عن جدارة واستحقاق وأصبح مذيعوها ومذيعاتها وبرامجها الاخبارية والوثائقية مادة خصبة لأحاديث وتعليقات العامة والخاصة وقد استطاعت كسب ثقة المشاهد العربي والاحنبي للتزامها بقدر من الموضوعية غير مسبوق اعلاميا رغم أنها لا تبعد سوى أمتار عن اكبر قاعدة عسكرية أمريكية في الشرق الأوسط ورغم اتهامها بالعمالة للسي آي ايه مرة وللموساد مرة أخرى ويا ليت تحذو حذوها الفضائيات العربية وتتهم بمثل ما اتهمت.

الا أن قناة الجزيرة ونحن نبارك لها في عيد ميلادها ونتمنى لها دوام الريادة لا تزال مقيدة بارادة قطرية ذكية وغير مرئية ولكنها محسوسة من قبل المشاهد النابه في توجهات القناة التي تتوافق دائما مع التوجه السياسي والديني لدولة قطر وقلما تخالفها ولعل ذلك يبدو واضحا على سبيل المثال لا الحصر في أن الشيخ «القرضاوي» مع احترامي الشديد له وتقديري العظيم لمنهجه الوسطي أصبح وهو المقرب